مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد الثالث عشر
مارس March 2026

مقاومة سكان شمال افريقيا للاحتلال الروماني، من نوميديا إلى موريتانيا

" دراسة تاريخية تحليلية"

زينب محمد الطاهر المرموري
قسم التاريخ .. كلية التربية زوارة / جامعة الزاوية
Z.marmuri@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0005-8854-2094

المستخلص

يهدف البحث إلى دراسة وتحليل المقاومة الأمازيغية للاحتلال الروماني في شمال إفريقيا من خلال أربعة محاور رئيسية، تشمل تحليل مقاومة الممالك النوميدية والقبائل المغاربية ودور التحالفات السياسية والعسكرية في مواجهتها .اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي لاستكشاف الأساليب القتالية والتكتيكات التي وظفها الأمازيغ، مع التركيز على حرب العصابات والكمائن .كما بحث في العوامل الاقتصادية والاجتماعية المحركة للثورات، مثل الصراع على ملكية الأراضي والموارد الرعوية والمسالك التجارية.

توصل البحث إلى أن المقاومة لم تكن أحداثا معزولة، بل شكلت سلسلة متواصلة من الثورات الشعبية والنخبوية التي امتدت لقرون، بدءا من الملوك النوميديين مثل يوبا الأول، وصولا إلى الثورات الموريتانية الكبرى بقيادة إيديمون وصالابوس .وأثبتت النتائج أن دوافع المقاومة تجاوزت البعد العسكري لتشمل الدفاع عن الأرض والاستقلال المحلي وحماية الموارد .ويخلص البحث إلى أن الاحتلال الروماني لم ينجح في إخضاع الداخل المغاربي إلا بشق الأنفس، وأن روح المقاومة أدت دورا حاسما في تشكيل الهوية والوعي السياسي للمنطقة عبر العصور.

الكلمات الدالة :سكان شمال إفريقيا – الاحتلال الروماني– نوميديا – موريتانيا – المقاومة الأمازيغية.

Abstract:

This research aims to study and analyze the Amazigh resistance against Roman occupation in North Africa through four main pillars, including the resistance of the Numidian kingdoms and Maghreb tribes, and the role of political and military alliances in their confrontation. The research employs an analytical-historical methodology to explore the combat methods and tactics employed by the Amazigh, with a particular focus on guerrilla warfare and ambushes. It also investigates the socio-economic factors driving

these uprisings, such as conflicts over land ownership, pastoral resources, and trade routes. The research concludes that the resistance was not a series of isolated incidents; rather, it formed a continuous chain of popular and elite revolutions spanning centuries, beginning with Numidian kings like Juba I and leading up to the great Mauretanian revolts led by Aedemon and Salabus. The results demonstrate that the motives for resistance transcended the military dimension to encompass the defense of land, local independence, and resource protection. Finally, the research highlights that the Roman occupation failed to subdue the Maghreb interior except with great difficulty, and that the spirit of resistance played a decisive role in shaping the identity and political consciousness of the region throughout the ages.

المقدمة:

شهد المجال الجغرافي لشمال إفريقيا، الممتد من الممالك النوميدية شرقا إلى الأقاليم الموريتانية غربا، صراعا وجوديا ومستمرا بدأ منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد واستمر حتى القرون الأولى للميلاد. كان هذا الصراع مواجهة محتدمة بين طموحات الإمبراطورية الرومانية التوسعية وبين إرادة الشعوب الأمازيغية الرافضة للهيمنة الأجنبية. وقد تجلى هذا الرفض في صورٍ شتى، بدأت من المقاومة الرسمية للممالك النوميدية المنظمة، وصولا إلى الثورات الشعبية العارمة التي قادتها القبائل المغاربية الكبرى كالجيتول والجرمانت والمور.

ورغم التباين في الأساليب العسكرية والأنظمة السياسية بين الممالك الموحدة والقبائل المستقلة، إلا أن وحدة الهدف كانت المحرك الأساسي؛ حيث سعت هذه القوى مجتمعة للحفاظ على استقلالها السياسي، وحماية مقدراتها الاقتصادية، وصون هويتها الثقافية من الذوبان في المنظومة الرومانية.

لقد أفرزت هذه الحقبة التاريخية محطات نضالية بارزة وتحالفات عسكرية استراتيجية؛ استهلتها جهود الملك يوبا الأول الصدامية، تلتها محاولات آريوبون الاستقلالية، ثم بلغت ذروتها في الثورة الشاملة التي قادها تاكفاريناس بمؤازرة قبائل المور، وصولا إلى انتفاضات إيديمون والقبائل المحلية في موريتانيا. وتثبت هذه الوقائع أن المقاومة الأمازيغية لم تكن مجرد ردود فعل عشوائية أو عابرة، بل كانت حركة تحررية متجددة وذات أبعاد فكرية واستراتيجية، تغذيها عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية متشابكة.

تأسيسا على ما سبق، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية لهذه المقاومة في أبعادها المختلفة؛ حيث يسلط الضوء على طبيعة التحالفات السياسية والعسكرية بين الملوك والقبائل، ويستعرض التكتيكات الحربية المبتكرة التي اعتمدها الأمازيغ لمواجهة الجيوش الرومانية النظامية، مع تحليلٍ دقيق للدوافع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت الوقود الحقيقي لاستمرار هذه الثورات واتساع رقعتها الجغرافية.

مشكلة البحث:

على الرغم من الثراء المعرفي الذي تقدمه المصادر الرومانية الكلاسيكية حول تاريخ المنطقة، إلا أن تلك الروايات ظلت محكومة برؤية المنتص، مما أدى إلى بقاء الصورة الحقيقية للمقاومة الأمازيغية في شمال إفريقيا مجزأة وغير مكتملة الأبعاد .ومن هنا، تنبع الإشكالية المركزية لهذا البحث في محاولة الكشف عن الآليات التي مكنت المجتمعات الأمازيغية — بمختلف تكويناتها من ممالك وقبائل— من صياغة استراتيجيات مواجهة صلبة ومتكاملة أمام التمدد الروماني.

ويمكن بلورة هذه المشكلة في التساؤلات الاتية: –

1. كيف استطاعت الشعوب الأمازيغية المزاوجة بين التحالفات السياسية والميدانية وبين الأساليب العسكرية المبتكرة لزعزعة استقرار القوة الرومانية المنظمة؟
2. ما مدى تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تعزيز قدرة هذه المجتمعات على الصمود وإطالة أمد المقاومة لعدة قرون؟
3. كيف تشكلت العلاقة التكاملية بين نخبة الممالك والقاعدة القبلية لضمان استمرارية الوعي التحرري من عهد نوميديا وصولا إلى الثورات الموريتانية الكبرى؟

أهداف البحث: تتمثل اهداف البحث في الاتي: –

1. استكشاف الاستراتيجيات العسكرية :رصد التكتيكات الحربية المبتكرة التي وظفها الأمازيغ لمواجهة الجيوش الرومانية النظامية، لا سيما حرب العصابات، والكمائن، والهجمات المباغتة التي أربكت المؤسسة العسكرية الرومانية.
2. تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تعزيز قدرة هذه المجتمعات على الصمود وإطالة أمد المقاومة لعدة قرون؟
3. تقييم الأثر الحضاري والسياسي :إبراز دور هذه المقاومة في تشكيل الهوية والوعي السياسي للمنطقة، وكيف ساهمت في إعاقة المشروع الروماني في إخضاع الداخل المغاربي بشكل كامل

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على حقبة مفصلية من تاريخ شمال إفريقيا القديم، محاولا إعادة قراءة حركات المقاومة بعيدا عن الرؤية المركزية الرومانية التي طالما هيمنت على المدونات الكلاسيكية. وتنبثق القيمة العلمية لهذه الدراسة من قدرتها على ربط النضال السياسي للممالك النوميدية والموريتانية بالتحركات الشعبية للقبائل المغاربية، مما يقدم رؤية شمولية توضح كيف تضافرت الجهود الرسمية والشعبية لعرقلة المشروع الاستيطاني الروماني. كما تبرز الأهمية في الجانب التحليلي الذي يربط بين التكتيكات العسكرية المبتكرة (حرب العصابات) وبين المحركات الاقتصادية والاجتماعية، مثل الدفاع عن ملكية الأرض وحرية التنقل الرعوي، وهو ما يفسر استمرارية الروح التحررية وتوارثها عبر الأجيال. وبذلك، يشكل هذا البحث إضافة نوعية للمكتبة التاريخية العربية، حيث يساهم في تأصيل مفهوم الهوية والمقاومة لدى شعوب المنطقة، ويفتح آفاقا جديدة للباحثين لفهم آليات الصمود الحضاري في مواجهة القوى الاستعمارية الكبرى في العصور القديمة.

منهجية البحث وادواته

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يتجاوز مجرد الرصد الزمني السردي للأحداث إلى محاولة تفسير الظواهر التاريخية وربطها بسياقاتها المختلفة. وفي هذا الإطار، توظف الدراسة المنهج التاريخي الاسترادي لجمع وتوثيق الوقائع المتعلقة بالمقاومة الأمازيغية من المصادر الكلاسيكية القديمة وإعادة بناء المشهد التاريخي للممالك والقبائل، مع إخضاع تلك الروايات —لا سيما الرومانية منها— للمنهج التحليلي النقدي؛ بهدف فحصها ومقارنتها لاستنباط الدوافع الحقيقية للمقاومة وتفنيد الرؤى التاريخية الأحادية الجانب. كما يعتمد البحث على المنهج المقارن لإجراء موازنة منهجية بين نمط مقاومة الممالك النوميدية المنظمة ونمط ثورات القبائل المستقلة، وتحديد نقاط الالتقاء والاختلاف في استراتيجياتهما السياسية والعسكرية، وصولا إلى استخدام المنهج السوسيو– اقتصادي لتحليل أثر المتغيرات الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، كالأرض والمسالك التجارية، في تشكيل الوعي التحرري وضمان استمرارية الثورات.

أما أدوات البحث، ارتكزت على استنطاق المصادر المكتوبة من أمهات الكتب الكلاسيكية، ككتابات تيت ليف وسترابون وسالوست، باعتبارها أدوات أولية لاستقاء المعلومة التاريخية، مع الاستعانة

بالدراسات والبحوث الحديثة والرسائل الجامعية العربية والأجنبية لتعزيز التحليل النقدي وربط النتائج بالدراسات المعاصرة. كما تم توظيف تحليل الخرائط التاريخية كأداة جوهرية لاستيعاب النطاق الجغرافي للثورات الممتدة من نوميديا إلى موريتانيا، وفهم دور الموارد الرعوية في توجيه مسار الصراع، بالإضافة إلى استخدام البيانات المقارنة والجداول لتصنيف نتائج السياسات الرومانية بعيدة المدى وتقييم تأثيرها المباشر على الهوية المحلية للمنطقة.

حدود البحث

أولا- الحدود الموضوعية: يركز **البحث** على تحليل حركات المقاومة المسلحة والتحالفات السياسية للممالك النوميدية والقبائل المغاربية ضد التوسع الروماني، مع استعراض الاستراتيجيات العسكرية والمحركات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الثورات.

ثانيا- الحدود المكانية: يشمل النطاق الجغرافي لـ**هذا البحث** بلاد المغرب القديم (شمال إفريقيا)، ممتدا من إقليم نوميديا (الجزائر وتونس حاليا) شرقا، وصولا إلى أقاليم موريتانيا القيصرية والطنجية (المغرب حاليا) غربا.

ثالثا- الحدود الزمانية: يغطي **البحث** الفترة الممتدة من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد (بدايات الصدام مع الممالك المنظمة) حتى القرن الثالث الميلادي (ذروة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والاضطرابات القبلية).

الدراسات السابقة:

1- محمد الهادي حارش (1995)، ثورة تاكفاريناس (17-24م)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، الجزائر .يهدف البحث إلى تحليل أسباب ومجريات ثورة تاكفاريناس كأبرز حركة مقاومة منظمة ضد الرومان في عهد الإمبراطور تيبيريوس. وتوصلت الدراسة إلى أن الثورة لم تكن مجرد تمرد قبلي عابر، بل كانت حركة وطنية جمعت بين مختلف القبائل (الموسولام، الجيتول، والمور) بفضل التكتيكات العسكرية المتطورة التي اعتمدها قائدها. وأوصى البحث بضرورة إعادة قراءة المصادر الكلاسيكية برؤية نقدية لاستجلاء الدور الحقيقي للتحالفات القبلية في إفريقيا البروبنصلية[1].

2- خديجة منصوري (1993)، ثورة إيديمون واضطرابات القرن الأول بموريتانيا القيصرية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 12، الجزائر .استهدف البحث دراسة الدوافع السياسية لثورة إيديمون التي

اندلعت عقب اغتيال الملك بطليموس الموريتاني وتأثيرها على مسار الاحتلال في موريتانيا. وخلصت الدراسة إلى أن الثورة كانت تعبيرا عن رفض شعبي قاطع لسياسة الإلحاق المباشر التي انتهجتها روما وسلب السيادة المحلية. وأوصت الباحثة بتركيز الدراسات المستقبلية على تتبع الآثار المادية والعمرانية التي تركتها تلك الاضطرابات في المدن الموريتانية القديمة لفهم حجم المقاومة الميدانية[2].

3- عبد العزيز سليماني (2000)، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 12، الجزائر .هدف إلى استقصاء أثر التوسع الروماني على البنى التحتية والاقتصادية للمجتمع الموريتاني ومدى ارتباط ذلك بحركات الرفض المحلي. وتوصل البحث إلى أن مصادرة الأراضي الزراعية وتحويلها إلى ضياع للمستوطنين الرومان كان الوقود الحقيقي والمحرك الأساسي لثورات القبائل الجبلية والريفية. وأوصى البحث بتعميق الدراسة في نمط ملكية الأرض عند الأمازيغ قبل الاحتلال لمقارنتها بالتغييرات الجذرية التي فرضها القانون العقاري الروماني[3].

4- دليلة بورين (2002)، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر .هدف إلى تبيان آليات الجباية الرومانية وكيف تم استخدامها كأداة لتركيع السكان المحليين وإخضاعهم اقتصاديا. وتوصل إلى أن ثقل الضرائب والتعسف في جمعها أدى إلى انفجار حركات مقاومة اجتماعية اتخذت طابعا اقتصاديا حادا، مما أعاق الاستقرار الروماني في الأقاليم الداخلية. وأوص الدراسة بضرورة دراسة العلاقة بين الضغط الجبائي وظهور حركات التمرد الديني والاجتماعي في القرون اللاحقة (مثل الدوناتية)[4].

5- محمد البشير شنيتي (1987)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .هدف الكتاب إلى تقديم رؤية شاملة للوجود الروماني في المغرب القديم مع التركيز على جدلية المقاومة والاندماج. وتوصل المؤلف إلى أن السياسة الرومانية في إقامة خطوط الدفاع (الليدز) لم تنجح في عزل القبائل المقاومة، بل ظلت الحدود منطقة صراع دائم استنزف قدرات الإمبراطورية. وأوصى البحث بتبني منهجية مقارنة تدرس مقاومة سكان شمال إفريقيا في سياق حركات التحرر العالمية القديمة ضد التوسع الإمبريالي لروما[5].

المبحث الأول: المقاومة النوميدية في مواجهة روما

أولا– تحالفات يوبا الأول وحملاته ضد الرومان

سعى يوبا الأول، ملك نوميديا، إلى مواجهة التهديد الروماني المتزايد من خلال نسج سلسلة من التحالفات الاستراتيجية مع قادة محليين وأجانب، أبرزهم بوخوس وحاكم المرتزقة الإيطالي سيتيوس[6] كانت هذه التحالفات محاولة أخيرة لتطويق النفوذ الروماني المتصاعد، لكنها لم تثمر النتائج المرجوة، إذ وجد يوبا نفسه محاصرا من عدة جهات متزامنة، مما أدى إلى تفتت قواته وتعرض جيشه لهزيمة كبيرة على يد تابيوس في أفريل سنة 46 ق.م [(7)].

اضطر يوبا بعد ذلك إلى التراجع نحو عاصمته زاما، إلا أن الأبواب أغلقت في وجهه [(7)]، فانسحب مع حليفه بيتروس إلى منزل أحد أتباعه، وهناك فضل الانتحار على الوقوع في أسر قيصر[(8)]، في خطوة جسدت مستوى الأزمة والضغط الذي واجهه الملك.

أثمرت هذه الهزائم بالكامل لصالح قيصر، الذي أصدر في صيف 46 ق.م قرارا بإنشاء ولاية أفريقيا الجديدة على جزء كبير من أراضي نوميديا[(10)]، كما تم تقسيم بقية الأراضي بين قيصر وبوخوس وسيتيوس المرتزق الإيطالي. وقد اعتبر الباحثون أن هذه الخطوة شكلت أحد العوامل المباشرة التي ساهمت لاحقا في اندلاع ثورات محلية ضد الحكم الروماني، بما فيها ثورة أحد الأمراء النوميديين.

ثانيا–ثورة آريوبون

لم تفقد نوميديا الأمل في استعادة استقلالها رغم سلسلة الهزائم المتتالية، وبقيت إرادة المقاومة متأصلة في النفوس، تدفعها لإعادة المحاولة لوقف التوسع الروماني. في هذا السياق، برز الأمير آريوبون بن ماسينيسيان [(11)]، الذي استغل حالة الانقسام السياسي بعد وفاة ماسينيسيان لممارسة نفوذه في المنطقة. فبعد اغتيال قيصر سنة 44 ق.م[(12)]، بدأ آريوبون نشاطه السياسي بدعم من سيكستيوس[(13)]، حاكم إفريقيا الجديد، الذي استعان به للدفاع عن موقعه ضد كورنيفيكيوس، الموالي لمجلس الشيوخ[(14)]. وقد نجح آريوبون في أولى عملياته العسكرية بالقضاء على إمارة السيبتياني[(15)]، ودفع سيتيوس إلى التراجع، كما تمكن من طرد بوخوس الثاني من نوميديا الغربية، معيدا بذلك توحيد الكيان النوميدي الغربي في نفس السنة[(16)].

غير أن صعود قوة آريوبون واشتداد نفوذه أثار قلق سيكستيوس الذي بدأ يراه منافسا وليس حليفا

الأمر الذي أدى إلى اغتياله سنة 49 ق.م[17]، في خطوة أرجعها الباحثون إلى دوافع سياسية أكثر منها ضرورة عسكرية، حيث وجهت له تهمة الاتصال بالحاكم الجديد لإفريقيا.

يمكن من خلال استقراء هذه الأحداث ملاحظة أن المقاومة النوميدية لم تكن مجرد صراع مؤقت ضد الرومان، بل كانت حركة تحررية جوهرها الدفاع عن الأرض واستعادة السيادة. فقد وضع ملوك البيت النوميدي الأساس الأول لمقاومة الاحتلال، وسعوا رغم ظروف الضعف والانقسام إلى منع انهيار كيانهم السياسي وإشعال الوعي بخطر التوسع الروماني. وأسهمت القبائل في الأقاليم الداخلية بدورها في استمرار جذوة المقاومة، ما يؤكد أن رفض الاحتلال لم يقتصر على النخبة الحاكمة بل كان رفضا شعبيا متجذرا ومستمرا.

ثالثا– ثورات القبائل المغاربية

شكلت القبائل المغاربية القوة الأساسية التي واجهت التوسع الروماني في شمال إفريقيا، وكانت قبيلتا الجيتول والجرمانت الأكثر تميزا في مقاومتها نتيجة اتساع نطاقهما الجغرافي وطبيعة أسلوب حياتهما القائم على التنقل، إضافة إلى إرث ثقافي عميق من الحرية ورفض الهيمنة الأجنبية[18]. وقد أشار الباحث إلى أن أهمية هاتين القبيلتين لم تقتصر على قوتهما العسكرية، بل على كونهما شكلتا قاعدة اجتماعية واسعة استحال على الرومان إخضاعها بشكل كامل[19].

رابعا– ثورة الجيتول

ذكرت قبيلة الجيتول في المصادر القديمة منذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، حيث يشير تيت ليف إلى وجود «فوج جيتولي ضمن جيش حنبعل»[20]، ما يدل على قدم هذه القبيلة في العمل العسكري المنظم وقدرتها على بناء تحالفات عسكرية تتجاوز الإطار المحلي.

امتد نطاق الجيتول من المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا، وانقسموا بين جيتول شرقيين في جنوب نوميديا، وجيتول غربيين بمحاذاة الموريين[21]. ويصف سالوست أن بعضهم يعيش في أكواخ بسيطة بينما يتنقل معظمهم على الدواب[22]، ما يشير إلى أنهم شكلوا جسرا بشريا بين الصحراء الكبرى والسهول الساحلية، مما منحهم قدرة كبيرة على المناورة والتحرك عبر مجالات جغرافية واسعة.

ازدادت مكانة الجيتول السياسية والعسكرية بعد توسع النفوذ الروماني في السهول الشمالية، خاصة عقب وفاة بوخوس، ثم أثناء حكم يوبا الثاني ووريثه، الذين عملوا على تهيئة المنطقة لمشاريع

الاستيطان الروماني. وبحسب الباحث، دفع هذا الضغط الجيتول إلى استعادة دورهم المقاوم، إذ شكلوا قوة رافضة لسياسات الاستيطان الرومانية المباشرة أو المطبقة بواسطة الملوك المحليين الموالين لروما[23].

ومع اتساع النفوذ الروماني نحو الداخل[24]، بدأت قبائل الجيتول تعارض التغيرات الإدارية والسياسية التي فرضتها روما، معتبرة هذه الإجراءات تهديدا مباشرا لنمط حياتها القائم على التنقل واستغلال المجالات الرعوية. وقد أدت هذه الظروف إلى اندلاع ثورة شاملة، تجلت في سلسلة من الاحتكاكات المسلحة مع القوات الرومانية في الجنوب الغربي من نوميديا وبلاد الحصنة وجنوب موريطانيا[25].

أظهرت الجيتول براعة قتالية عالية من خلال هجمات مباغتة وكمائن محكمة ألحقت خسائر كبيرة بالقادة الرومان، ما أدى إلى حالة من الحرب الدائمة التي استنزفت القوة الرومانية لسنوات طويلة دون حسم نهائي. ومع ذلك، بدأت السلطة الرومانية تدريجيا في فرض حضورها في أواخر عهد الإمبراطور كركلا، مكافئة بعض القادة المحليين مثل بويا الثاني والبروقنصل باسنينوس روفوس[26]، في حين حصل البروقنصل لنطولوس كوسوس على تاج النصر بعد قمع الثوار سنة 6م[27].

إن ثورة الجيتول لم تكن حدثا منفصلا عن المقاومة النوميدية السابقة، بل امتدادا طبيعيا لها، إذ كانت مرتبطة بما يجري في شمال المغرب القديم وتستجيب مباشرة للسياسات الرومانية المطبقة على بقية القبائل. ومن هنا، تعكس هذه الثورة استمرار الروح التحررية المشتركة بين المجموعات السكانية في المنطقة، وتأكيدا على أن المقاومة كانت حركة جماعية وعميقة الجذور.

خامسا– ثورة الجرمانت

أدت قبيلة الجرمانت دورا محوريا في دعم مقاومة الجيتول، نظرا لموقعها الاستراتيجي بين الشمال وصحراء إفريقيا، حيث شكلت مركزا للتجارة العابرة للصحراء ما أكسبها نفوذا اقتصاديا وسياسيا بارزا[28]وقد جعلتها هذه المكانة قوة مستقلة، تتصادم مع الرومان الذين سعوا لفرض هيمنة كاملة على المنطقة[29].

ساهمت عدة عوامل في تأجيج الصراع بين الجرمانت والرومان، منها سياسة الإمبراطور أغسطس في تشغيل القوات الرومانية في الفتوحات الخارجية بعد نهاية الحرب الأهلية لتعزيز مكانته وإبعاد الجيش عن الشؤون الداخلي. كما أن رغبة الجرمانت في توسيع نفوذهم نحو المدن الساحلية الثلاث (لبيا، صبراتة، وبدة) كانت تهديدا مباشرا لاستراتيجية روما في شمال إفريقيا[30]، إذ كانت هذه المدن عقدة استراتيجية للتجارة العابرة للصحراء، وتسيطر عليها الجرمانت لامتلاكهم شبكة سريعة ومرنة

من الخيول المهيأة للحركة في الصحراء[31].

وكان السبب المباشر للحملة الرومانية على الجرمانت والجيتول هو تحديهم المعلن للسلطة الرومانية وتقديم الدعم لبعضهم البعض في إطار مقاومة مشتركة[32]. في سنة 19 ق.م، أرسل الرومان البروقنصل لوكينيوس كورنيليوس باليوس على رأس حملة عسكرية ضد مدينة كيدامس (غدامس اليوم)، انتهت بسقوط عاصمة الجرمانت جرمة وعدد من المناطق التابعة لها[33]، واحتفى الرومان بالانتصار ومنحوا قائد الحملة شرف التكريم[34]

يخلص الباحث إلى أن القبائل المغاربية، لا سيما الجيتول والجرمانت، شكلت عقبة حقيقية أمام المشروع التوسعي الروماني، إذ تطلب إخضاعها تعبئة مادية وعسكرية ونفسية ضخمة. ورغم الخسائر الأولية، لم تنطفئ جذوة المقاومة، بل تجددت في ثورات لاحقة أكثر تنظيما، أبرزها ثورات تاكفاريناس ومزربا ضمن تحالف نوميدي–موروي، مما يدل على استمرار الوعي التحرري لدى شعوب المغرب القديم[35].

المبحث الثاني– خلفية الثورة وأسبابها

شهدت بلاد المغرب خلال حكم الإمبراطور تيبيريوس (14–37م) واحدة من أعقد الحروب التي خاضتها روما في المنطقة، والتي امتدت بين 17 و24م، بقيادة القائد المغاربي بارز تاكفاريناس، المنتمي إلى قبائل المورزولامي[36]. وتعد هذه الثورة، وفق تقدير الباحث، نموذجا فريدا للمقاومة المشتركة، إذ جمعت قوى متعددة من المور والنوميد وقبائل أخرى في تحالف واسع لم يسبق له مثيل[37].

امتدت رقعة المعارك على مساحات شاسعة من جنوب نوميديا وصولا إلى الجنوب الموريتاني، وانضم إلى التحالف قبائل التل والسهوب الصحراوية، بما في ذلك الجرمانت والمور والكنتيون في جبهة السرت الصغير[38]. وتوضح هذه المشاركة الواسعة أن الثورة لم تكن حركة فردية يقودها تاكفاريناس فحسب، بل كانت تعبيرا جماعيا عن سخط سياسي واقتصادي واجتماعي ضد الهيمنة الرومانية[8]39.

أبرز دوافع الثورة الاقتصادية والسياسية، وفق الباحث، كان توزيع الأراضي على المستوطنين الإيطاليين، والذي بدأه أغسطس وأكمله تيبيريوس[40]. وقد تمركزت هذه الإجراءات بشكل أساسي على خط قفصة – حيدرة، حيث أقيم مركز للفرقة الأغسطية الثالثة لمراقبة تحركات قبائل المورزولامي[41]. وقد اعتبر تاكفاريناس هذه السياسات تهديدا مباشرا لاستقلال القبائل وحقوقها في الأراضي، فطالب بإعادة الأراضي إلى أصحابها الأصليين مقابل إنهاء الثورة[42].

مجريات الثورة واستراتيجياتها

بعد توحيد صفوف المور بقيادة تاكفاريناس، كلفت قيادة هذه القوات لشخص متمرس في فنون الحرب[43]، وتم تقسيم الجيش إلى فرسان ومشاة، مع اعتماد أسلوب حرب العصابات الذي أثبت فعاليته ضد الجيوش الرومانية المعتادة على المعارك المنظمة[44]. وقد شكل هذا الأسلوب تهديدا استراتيجيا كبيرا للرومان، الذين اضطروا إلى تعديل تكتيكاتهم العسكرية التقليدية.

لإخماد الثورة، أرسل الإمبراطور تيبيريوس الفرقة العسكرية التاسعة الإسبانية بقيادة دولابيلا سنة 20م لدعم الفرقة الأغسطية الثالثة[45]. كما شارك في الدعم العسكري يوبا الثاني وابنه بطليموس، مما يعكس شمولية التحالفات الرومانية واعتراف روما بخطورة الثورة المور–النوميدية[46].

وتكشف الثورة، بحسب تحليل الباحث، أن القضايا الاقتصادية، لا سيما مسألة الأرض والسيطرة عليها، كانت العامل الرئيس في حشد القبائل للمقاومة[47]. كما أن التعاون بين القبائل المحلية ساعد على إطالة أمد الثورة وإرهاق القوات الرومانية، مما يعكس عمق الوعي السياسي والعسكري لدى الشعوب المغاربية[48].

ويمكن القول إن ثورة تاكفاريناس شكلت نموذجا للوحدة القبلية في مواجهة قوة الاحتلال الروماني، وأثبتت أن المقاومة الجماعية كانت أكثر فاعلية من الحركات الفردية أو المحدودة، وأن الارتباط بالجغرافيا المحلية ومعرفة تضاريسها كان مفتاحا لاستمرارها[49].

المبحث الثالث– الثورات بعد تكريس الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا (القرن الأول الميلادي)

ثورة إيديمون والمور (40 – 44م)

بعد سبع سنوات من المقاومة الشرسة التي قادها تاكفاريناس ضد الرومان بين 17 و24م، تمكن الرومان بقيادة الجنرال دولابا من تتبع تاكفاريناس إلى معاقله، وشنوا عليه هجوما ليليا مفاجئا في منطقة أزيرا (سور الغزلان)، حيث سقط هو وأبرز رجاله سنة 24م[50]. وتوضح هذه الخطة براعة الرومان في استخدام تكتيكات المداهمات الليلية، كما تبرز أهمية دعم الحلفاء المحليين، مثل بطليموس الذي ساهم بمساعداته العسكرية قبل أن تضم مملكته لاحقا إلى الأراضي الرومانية[51] مع وصول كاليغولا إلى العرش الروماني[52]، سعى إلى فرض سلطته على موريتانيا واغتيال الملك بطليموس سنة 40م، ما أدى إلى اندلاع ثورة بقيادة أحد مساعدي الملك الراحل، يدعى إيديمون. وقد

انضم إليه البربر الجيليون والقبائل الرعوية في السهوب العليا، بمن فيهم زعيم محلي يعرف باسم سجل، الذي يمثل العصب المركزي للحكم المحلي في موريتانيا[53].

ويرى الباحث أن ثورة إيديمون والمور لم تكن مجرد تمرد عابر، بل تجسيدا لاستمرار روح المقاومة المغاربية ضد الهيمنة الرومانية، ومحاولة للحفاظ على استقلال الحكم المحلي والنفوذ القبلي التقليدي. وقد كانت دوافعها مزدوجة: شخصية تتعلق بالانتقام لاغتيال الملك بطليموس[54]، وسياسية تتعلق برفض الهيمنة المباشرة الرومانية وتقييد حرية القبائل الاقتصادية والاجتماعية[55].

توضح المصادر أن الثورة شملت المدن والسهول والجبال، حيث حظي إيديمون بدعم سكان قيصرية، ووليلي بالإضافة إلى الاتصال بالقبائل الموروزولامية للحصول على دعم عسكري[56]. ورغم شدة المقاومة، تمكن الرومان من السيطرة على الموقف تدريجيا، وأجبرت القبائل على الاستسلام بعد القضاء على القيادات المتمردة، بينما استمر الملك صالابوس في خوض المعارك الأخيرة[57].

تؤكد هذه الأحداث أن القبائل المحلية كانت قادرة على التوحد ضد الاحتلال الروماني، وأن دوافع الثورة كانت اقتصادية، سياسية، واجتماعية في آن واحد، مما يجعلها مثالا بارزا على المقاومة الأمازيغية المنظمة في شمال إفريقيا خلال القرن الأول الميلادي.

استمرار الاضطرابات والصراع الديني في القرن الثالث الميلادي

على الرغم من القضاء على ثورة إيديمون، استمرت الاضطرابات في موريتانيا القيصرية، إذ عرفت المنطقة مقاومة متقطعة ضد السياسات الرومانية، خاصة فيما يتعلق بالضرائب والقيود الاقتصادية. وقد أظهرت هذه الثورات قدرة القبائل الأمازيغية على المقاومة المنظمة، حتى بعد إدماج الأراضي في الإمبراطورية الرومانية بشكل مباشر.

ومع وصول القرن الثالث الميلادي، بدأت تظهر بعد التحديات الجديدة ذات الطابع الديني، حيث أدى تصادم المعتقدات الوثنية المحلية مع انتشار المسيحية إلى تفاقم الاضطرابات. وقد وصل أتباع المسيح إلى بلاد المغرب مع تبشيراتهم، داعين إلى تعميم التعليم المسيحي على جميع الأمم، كما جاء في سفر متى. وأدى هذا الصراع إلى حالة من الفوضى وانعدام الأمن في كامل المنطقة، إذ شكل التباين الديني عاملا إضافيا للاضطراب الاجتماعي والسياسي.

ويرى الباحث أن هذه الثورات الدينية والاجتماعية لم تكن مجرد احتجاج عابر، بل كانت امتدادا للمقاومة التقليدية للأمازيغ ضد الهيمنة العسكرية والسياسية الرومانية. وقد أثرت هذه الحركات في استمرارية الوعي التحرري لدى القبائل المغاربية، وجعلت من المقاومة نمطا مستمرا في مواجهة الهيمنة الأجنبية، حتى مع التغييرات الاقتصادية والقانونية والإدارية التي فرضتها روما.

الخاتمة:

أن المقاومة الأمازيغية في شمال إفريقيا ضد الاحتلال الروماني مثلت ظاهرة تاريخية متكاملة الأركان؛ حيث كشفت مجريات البحث أن هذه المقاومة لم تكن مجرد ردود فعل عشوائية، بل شكلت سلسلة متصلة من الثورات المنظمة التي جمعت بين النخب الحاكمة في الممالك النوميدية والقاعدة الشعبية للقبائل المغاربية .وقد أثبتت المنهجية التحليلية المتبعة أن استخدام الأمازيغ لتكتيكات عسكرية مرنة، مثل حرب العصابات والكمائن الليلية والمناورة في المناطق الوعرة، مكنهم من زعزعة استقرار الجيش الروماني النظامي وإضعاف سيطرته الميدانية لفترات طويلة.

أظهرت **النتائج**: أن المحركات الأساسية لهذه الثورات تجاوزت الصراع العسكري المباشر لتشمل أبعادا سوسيو–اقتصادية حادة؛ إذ كان الدفاع عن ملكية الأرض، وحماية الموارد الرعوية، والسيطرة على المسالك التجارية الاستراتيجية هو الوقود الحقيقي لاستمرار الروح التحررية .ورغم محاولات روما تكريس احتلالها عبر سياسات الضم المباشر (كما حدث في ولاية أفريقيا الجديدة وموريتانيا القيصرية)، إلا أن وعي الشعوب المحلية بضرورة استعادة السيادة ظل متقدا، مما جعل من المنطقة ساحة صراع دائم استنزف قدرات الإمبراطورية المادية والبشرية حتى في أوج قوتها، واوصي بضرورة تعميق الأبحاث التاريخية حول أنظمة ملكية الأرض عند القبائل الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني لفهم أعمق لجذور الصراع العقاري الذي فجر الثورات الكبرى .كما يدعو البحث الباحثين إلى تبني رؤية نقدية للمصادر الكلاسيكية القديمة تهدف إلى تفكيك الروايات الأحادية الجانب واستجلاء الدور الحقيقي للتحالفات القبلية في المناطق الداخلية التي لم تخضع بالكامل للرومنة .ومن الضروري أيضا تركيز الجهود البحثية المستقبلية على تتبع الآثار المادية والمعمارية المرتبطة بمراكز المقاومة الميدانية في المدن الموريتانية والنوميدية القديمة، لتوثيق حجم الصمود الأمازيغي بعيدا عن الرواية الرومانية الرسمية .وأخيرا، يوصي البحث بدراسة العلاقة التفاعلية بين الضغوط الجبائية الرومانية وظهور

حركات الاحتجاج الاجتماعي والديني في القرون اللاحقة، لضمان فهم شمولي لتطور الهوية السياسية لشعوب شمال إفريقيا عبر العصور

التوصيات:

1: لا بدا من معرفة الآساب الكامنة وراء الاحتلال الروماني لمنطقة شمال افريقيا

2: العمل على راسة موقف القبائل الليبية في مواجهة الاحتلال الروماني

3: لا بد من معرفة الاثار التي ترتبت على الاحتلال الروماني على سكان شمال افريقيا

4: معرفة الاثار التي ترتبت على الوجود الروماني في ليبيا

5: كل الاثار الرمانية في المنطقة محل دراسة

الهوامش:

(1) محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (17–24م)، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 19، 1995، ص ص 130–132.

(2) خديجة منصوري، ثورة إيديمون واضطرابات القرن الأول بموريتانيا القيصرية، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 12، 1993، ص ص 131–134.

(3)– عبد العزيز سليماني، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 12، 2000، ص 291

(4)– دليلة بورين، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002، ص 90.

(5)– محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 61.

(6)– حارش، محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، 2001، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص20.

(7)– قيصر، يوليوس، المصدر السابق، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص64.

(8)–غانم، محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكري القديم، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص386.

(10)– غانم، محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكري القديم، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص386.

(11)– المنوبي، محمد البشير، سياسة الروم في بلاد المغرب، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص73.

(12) قيصر، يوليوس، المصدر نفسه، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، XXV، ص22.

(13) بن شنب، محمد، الإهرام النوميدي في تبسة، ترجمة عبدو جريس، المجلة المصرية، دار الكتب المصرية، 2003، ص94.

(14) جوليان، شارل أندري، المصدر السابق، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص169.

(15) Gsell, Stèphane, Op–Cit, Tome 8، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، PP192–195.

(16) جوليان، شارل أندري، المصدر نفسه، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص168.

(17) صقر، أحمد، المصدر السابق، غير محدد السنة، غير محدد دار النشر، غير محدد مكان النشر، ص88.

(18) خشيم، علي فهمي، نصوص ليبيا ما قبل قورينائية، الطبعة الأولى، مكتبة الفكر، ليبيا، ص 42.

(19) Livy (Tit-Live)، (Histoire de Rome depuis sa Fondation (Ab Urbe Condita libri، باريس، Firmin Didot Frères، طبعة 1830، Tome I، كتاب XXII، الفصول 1-18.

(20) Strabon، Geographica، مرجعية قديمة (Op-Cit)، المجلد XVII، الفصل 19، ص 709.

(21) Salluste، أعمال السالستوس (Op-Cit)، المجلد XIX، ص 23.

(22) عبد الحليم، مصطفى كامل، [عنوان المرجع غير مذكور بالكامل في الهامش]، ص 74.

(23) ديون كاسيوس ((Dion Cassius، Histoire Romaine، ترجمة Étienne Gros، باريس، Firmin–Didot frères، 1845، المجلد V، ص 28.

(24) شنيتي، محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، دار النشر (غير محدد)، ص 48-52.

(25) البرغوثي، عبد اللطيف، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار النشر (غير محدد)، ص 250.

(26) وصف إفريقيا – حسن الوزان، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الثانية، ج1، ص146.

(27) أتيبة، أحمد محمد، [عنوان المرجع غير واضح في الهامش]، ص66.

(28) عبد اللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ص250.

(29) مصطفى كامل عبد الحليم، المرجع السابق، ص67–68

(30) حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ج1، ص146.

(31) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص42.

(32) مصطفى كامل عبد الحليم، المرجع السابق، ص86.

(33) المرجع نفسه، ص83.

(34) أحمد محمد أتيبة، المرجع السابق، ص71.

(35) مصطفى كامل عبد الحليم، المرجع السابق، ص86.

(36) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987،ص78.

(37) Tacite: Annales, T1, livre IV, 23, par M. Charpentier, Garnier frères, Paris, 1875, p.211.

(38) محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري القديم، ص367–369.

(39) المرجع نفسه، ص168.

(40) دليلة بورين، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، فرع تاريخ قديم، 2001–2002، ص90.

(41) عبد العزيز سليماني، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد12، 2000، ص291.

(42) المرجع نفسه، ص291؛ محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ص167–168.

(43) المرجع نفسه، ص168.

(44) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الجزائر، 1965، ص38.

(45) محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (17–24م)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد19، الجزائر، 1995، ص130–132.

(46) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، ص60–61.

(47) دليلة بورين، المرجع السابق، ص90.

(48) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص369.

(49) المرجع نفسه، ص368.

(50) محمد البشير شيباني، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص61.

(51) المرجع نفسه، ص62.

(52) كاليغولا: أصل الكلمة Caliga أي الحذاء العسكري، وهو لقب أطلقه جنود الرومان، واسمه غايوس كايصار أوغسطس جرمانيكوس، ولد سنة 12م وتولى العرش سنة 37م واغتيل سنة 41م.

(53) محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري القديم، ص387.

(54) خديجة منصوري، ثورة إيديمون واضطرابات القرن الأول بموريتانيا القيصرية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد12، الجزائر، 1993، ص131–134.

(55) Pli le l'ancien: Op–Cit, p11.

(56) جورج تيسيه، تاريخ المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة الأب عيسى بوجريد، دار الجيل، بيروت.

(57) عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، بيروت، 2000، ج2، ص250.